اسم المصدر : الجزيرة

التاريخ : 2010-11-14

رقم العدد : 13926 رقم الصفحة : 37 مسلسل : 180 رقم القصاصة : 1

البيت السعودي بيت دعوة قبل أن يكون بيت ملك.. والكعبة المشرفة رمز وحدتنا

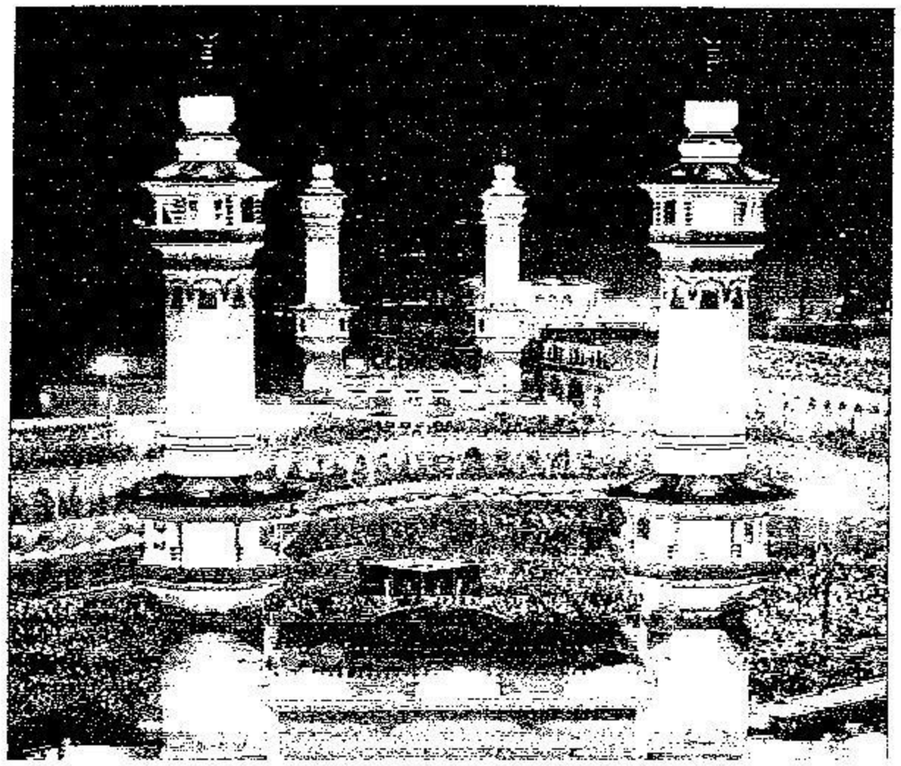

د. عمرو عبد العزيز منير

بدأ المشروع الإنساني على الأرض بقرار ربّاني: (إنّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة: من الآية30)، وبدأت حياة الإنسان على هذه الأرض بالتوحيد لله الواحد الأحد.. فالتوحيد الذي بزغ منذ بداية يوم الإنسانية سيبقى يُرسل أشعته حتى نهاية ذلك اليوم وإنْ حجبته بعض سحب من الشرك خفيفة زمناً ما ذهبتْ ببعض نوره.. أو كثيفة في زمن آخر حجبت نوره عن كثير من النفوس إلا أنه ظلّ زاهراً في نفوس قوم آخرين، فالأرض لم يأت عليها زمان قط خلت فيه من حجةٍ على الناس متمثلةٍ في أشخاص موحّدين يمشون على الأرض كان أولهم آدم وليس آخرهم خاتم النبيين محمد (ص) وما بينهما الكثير من الرسل والأنبياء تعرف

اسم المصدر : الجزيرة

التاريخ : 14-11-2010

رقم العدد : 13926 رقم الصفحة : 37 مسلسل : 180 رقم القصاصة : 2

البعض منهم ولا نعرف أكثرهم (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (النساء:165) وعلى الرغم من ذلك بقيت بعد الإسلام أنماط سلوكية جديدة كانت في الأصل تحمل مضمونات رمزية، مثال ذلك: تقبيل الحجر الأسود، اللبنة الأساس في بناء البيت «الكعبة» الذي حقق الوحدة الفكرية منذ قيام إبراهيم وإسماعيل ببنائه وهو الرمز للوحدة القومية القبلية بعد عام الفيل، حين اختلفت القبائل على من يضع الحجر المقدس من البناء في مكانه، ولعل عمر بن الخطاب لم يدرك هذا الرمز حين قال: « والله لولا أني رأيت رسول الله (ص) يقبلك ما قبّلتك» وإن استمرار هذه الشعيرة ضمن شعائر الحج هو نَقْلَةٌ لزمن دنيوي تاريخي فصار رمزاً مقدساً دورياً يتكرر كل عام في تلك البقعة الجغرافية التي منها انتشرت تلك العقيدة إلى العالم كثيراً، حيث نقطة البداية، حيث الجنة الأرضية التي أسكنها آدمُ وزوجُه، ثم أهبط منها آدم بعد معصيته ليستقر بالقرب منها رغبة في الأوبة إلى الله عزّ وجلّ وطلباً للمغفرة، فمن هذه النقطة تحديداً كانت البداية وهي (أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ) (آل عمران: من الآية96)، من هذه الأرض المقدسة التي باركها الله سبحانه، أرض شبه الجزيرة العربية التي انطلق منها جميع الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين وداعين إلى عبادة الله الواحد الأحد، ومنها حمل الإنسان العربي عقيدة التوحيد إلى جميع أنحاء الوطن العربي الواسع منذ آلاف السنين كان آخرهم في التاريخ الحديث شاب فقيه هو (محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد التميمي) عربي خالص العروبة دعا إلى الله وحده والتعبد له دون شريك معتمداً على القرآن والسنة والسلف الصالح، فلم تكن دعوته للتوحيد مذهبا جديدا بل إحياء لمبدأ إسلامي كبير بعد ما تركته الفرق الإسلامية كالباطنية والقرامطة من عادات أصبحت في حكم العبادات. مع تلك الدعوة التي ساندها قادة آل سعود جاءت عنايتهم برمز وحدة المسلمين وتوحيدهم، فلقيت الكعبة المشرفة عناية تامة من آل سعود منذ أمر الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - بترميم الكعبة ترميماً شاملاً، وذلك في سنة 1377هـ/ 1958م، وهو الترميم الذي لم يكن له مثيل منذ آخر عمارة تمت للكعبة المُشَرفة في عهد السلطان العثماني مراد الرابع في سنة 1040هـ /1631م.

وكانت البداية مع الملك الموحد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود حين أمر بصنع باب جديد للكعبة المشرفة تم إهداؤه للكعبة المشرفة في احتفال إسلامي كبير ترأسه وفي العهد آنذاك الملك سعود - رحمه الله - في الخامس عشر من ذي الحجة سنة 1366هـ/ 1947م. ومع باكورة مشروع جلالة الملك عبد العزيز آل سعود لتوسعة وعمارة المسجد الحرام تم استبدال الشمعدانات الستة التي على حجر إسماعيل بخمسة من النحاس الأصفر فوق كل شمعدان وضع فانوس يضاء بالكهرباء.

وفي السنة نفسها أمر الملك عبد العزيز آل سعود بتغيير الإطار الذي أرسله السلطان العثماني محمد رشاد الخامس سنة 1331هـ/ 1912م. وقد مضى عليه أكثر من أربعة وأربعين عاماً دون تغيير. كما أمر الملك سعود بصنع سلم فخم لائق بمكانة بيت الله الحرام للصعود عليه بدلاً من السلم القديم الذي صُنع منذ أكثر من مئة وخمس وثلاثين سنة. وعمل السلم في مصر من الخشب الزان المليس بالفضة والنقوش العربية المذهبة.

وبينما كان العمل مستمراً في توسعة المسجد الحرام وعمارته لوحظ وجود تلف في السقف الأعلى للكعبة المشرفة ويحتاج إلى تغيير كلي، كما أن السقف الأدنى الخشبي قد تلف بسبب عوامل المناخ وفعل الزمن فأمر الملك سعود لجنة علمية أعدت تقريراً رفعته للملك سعود فأرسله بدوره إلى سماحة مفتي المملكة آنذاك للوقوف على رأي الشرع في تلك الترميمات. وبدأ العمل في ترميم الكعبة المشرفة ليلة السبت جمادى الآخرة من سنة 1377هـ/ 1958م. حيث سُترت الكعبة بالأخشاب من جميع جهاتها، لتتم أعمال الترميم بعيداً عن أعين الطائفين حول الكعبة حرصاً على سلامتهم من سقوط الأحجار وحتى لا تُرى الكعبة دون كسوتها. وقد أحاط الساتر الخشبي بالكعبة المشرفة كلها من أرض المطاف إلى ما فوق سطحها بنحو متر ونصف المتر تقريباً، أما جدار حجر إسماعيل - عليه السلام - فلم يحيطوه بالأخشاب، وإنما أحاطوا جدار الكعبة المشرفة من هذه الجهة من داخل الحجر وجعلوا جسراً من الخشب عرضه نحو مترين ممراً يوصل إلى الكعبة المشرفة وإلى السقالات التي عملوها من جهة الحجر للصعود منها إلى سطحها يمتد من يمين منبر المسجد الحرام على استقامة واحدة إلى الجدار الشرقي للكعبة فلا يصعدها إلا من يعمل في مشروع العمارة والترميم ومن يسمح له بالدخول حرصاً على سلامة الجميع وسرعة إنجاز العمل، وجعل الجسر الخشبي مرتفعاً عن أرضية المطاف بنحو قامتين حتى لا يعيق الطائفين حول الكعبة وقد استمر العمل في الساتر والجسر الخشبي خمسة أيام.

وتعد عملية ستر الكعبة المشرفة بالأخشاب أثناء تعميرها وترميمها، هذه هي المرة الثالثة في تاريخ عمارتها، حيث كانت أول مرة تستر فيها بالأخشاب في عهد عبد الله بن الزبير سنة 65هـ/ 684م. والمرة الثانية كانت أثناء عمارة الكعبة المشرفة في عهد السلطان مراد الرابع سنة 1040هـ/ 1631م. وقد رصد لنا محمد الموجان في كتابه (الكعبة المشرفة عمارة وكسوة) قيام ولي العهد آنذاك الملك فيصل - رحمه الله - بصحبته الأمير الحسن بن محمد الخامس ولي عهد المغرب آنذاك ويرافقهما مجموعة من الأمراء والوزراء والعلماء بفك بعض رخام السطح إيذاناً ببدء العمل في الترميم والإصلاح، فتبعهما جميع الحاضرين حيث قاموا بفك الرخام واشترك في العمل أناس كثيرون من عدة جنسيات رغبة في الأجر والثواب من الله تعالى.

وبعد الانتهاء من الأعمال الرئيسية في عمارة وترميم الكعبة المشرفة قدم الملك سعود بن عبد العزيز من الرياض إلى مكة المكرمة. في الحادي عشر من شعبان 1377هـ/ 1مارس 1958م. فدخل الكعبة المشرفة وتفقد التجديدات ووضع اللوح الرخامي الأخير بجدار الكعبة الجنوبي من الداخل عليه أحد عشر سطراً بخط النسخ جاء فيها :«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين،

اسم المصدر : الجزيرة
التاريخ : 14-11-2010
رقم العدد : 13926 رقم الصفحة : 37 مسلسل : 180 رقم القصاصة : 3

وبعد ففي هذا العام المبارك عام ألف وثلاثمائة، وسبعة وسبعين من الهجرة. علم الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وخادم الحرمين الشريفين، بوجود خلل في سقفي الكعبة الشريفة وتصدع في جدرانها، فبادر بتجديد السقفين وترميم التصدع، وقد تم في شهر شعبان من العام المذكور. تقبل الله منه وأجزل له الثواب آمين. إنه سميع مجيب.». وبالانتهاء من عمارة الكعبة المشرفة وإصلاحها في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود والتي استمرت نحو ثمانية وستين يوماً تكون الكعبة المشرفة شهدت أكبر عملية إعمار وترميم منذ آخر مرة بنيت فيها في عهد السلطان العثماني مراد الرابع في سنة 1040هـ/ 1631م. حتى تاريخ عمارتها وترميمها في سنة 1377هـ/ 1958م.وفي عهد الملك فيصل -رحمه الله- تم تغيير حلق باب الكعبة عام 1391هـ إلى أن قام الملك خالد -رحمه الله - بتغيير باب الكعبة القديم بالباب الحالي حين أمر الملك خالد بصنع باب جديد للكعبة المشرفة، وذلك بعد أن صلى في جوف الكعبة المعظمة، فتراءى له قدم الباب، ورأى آثار خدوش في الباب الذي كان قد أقيم عام 1363هـ / 1943م في عهد الملك عبدالعزيز فأمر بصنع الباب الجديد من الذهب الخالص، وقد كلف شيخ الصاغة في مكة المكرمة بصنع الباب الجديد من الذهب الخالص، كما أمر أن يصنع باب التوبة وهو الباب الداخلي للكعبة من خشب الناكونخ، ويغطى بصفائح الذهب وتم الاستغناء عن قفل الباب القديم، وتم صنع قفل جديد بنفس مواصفات القديم ليتفق والأسلوب العام لتصميم الباب مع زيادة في كفاءة تشغيله. وقد قام الملك خالد بإزاحة الستار عن الباب الجديد، وتشرف بغسلها في عام 1399هـ/ 1979م.

وفي عام 1416هـ وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد تم ترميم جدار الكعبة من الخارج ترميماً شاملاً، وفي عام 1417هـ تم تجديد الكعبة المشرفة تجديداً شاملاً من الداخل، وشمل سقفي الكعبة والأعمدة الثلاثة وحوائط الكعبة من الداخل والأرضيات ورخام السطح والحوائط والسلم الداخلي والشاذروان وميزاب الكعبة وجدار حجر إسماعيل (عليه السلام). وقد بدأ العمل في هذا الترميم الكبير للكعبة في 11-1-1417هـ وانتهى في يوم الأربعاء 2-7-1417هـ وكانت هذه آخر عمارة للكعبة المشرفة. في عهد آل سعود الذين أكدوا لنا مقولة الملك فيصل ـ طيب الله ثراه ـ: «البيت السعودي هو بيت دعوة قبل أن يكون بيت ملك». وأن الكعبة المشرفة هي رمز وحدتنا التي من أجلها اجتمعنا في بيت الله الواحد حجاجاً لنقرر رجم شياطين الفرقة إخواناً لعل الله يأتينا بيوم أضحى وأشرق تتفجر فيه المشاعر الإنسانية الواجبة أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لتعلن التوحيد الحق وتعلن الربوبيات المستعلنة.

أستاذ التاريخ الإسلامي كلية الآداب جامعة حائل